السمات العامة لعمارة منطقة الشلال الثالث بالسودان في الفترة من ٥٥٠-١٣٢٣م

د. محمد أحمد عبد المجيد•

ملخص باللغة العربية:

لعبت منطقة الشلال الثالث أدوارا عديدة في تاريخ الحضارة في السودان، ولاسيما في فترة المسيحية (٥٥٠-١٣٢٣م)، تحكي عنها مواقع أثرية تمتاز بالثراء والتنوع. وقد كان السبب في كل ذلك موقع المنطقة الجغرافي المميز بين النوبة السفلى والعليا بجانب تنوع مقوماتها البيئية.

وتهتم هذه الدراسة في المقام الأول بالتعرف على الملامح العامة للعمارة في منطقة الشلال الثالث خلال الفترة المسيحية من خلال إتباع أسلوب الحصر والتصنيف لعمارة المنطقة ثم مقارنتها بعمارة المناطق الأخرى في النوبة المسيحية.

وقد خلصت الدراسة إلى نتائج عديدة أهمها أن عمارة منطقة الشلال الثالث في الفترة المسيحية تشبه بعضا من عمارة النوبة السفلى وبطن الحجر في بعض الجوانب، مع وجود تفرد وتميز في جوانب أخرى.

Abstract:

The Third Cataract Region played many roles in the history of civilization in Sudan, particularly in the Christian period (550-1323AD), as reflected on the richness and diversity of archaeological sites. The reason for this is the distinguished geographical location of the region between Lower and Upper Nubia, with the diversity of environmental merits.

The study has actually concentrated on identifying the general characteristics of the architecture in the Third Cataract Region, during the Christian period (550-1323AD), using the method of inventory and classification to the architecture of the area, and then them to others in lower and upper Nubia. compares

The study resulted in conclusion that the Third Cataract Region architecture during the Christian period resembled the architecture of Lower Nubia and Batn Alhajar in some respects, with a uniqueness and distinction in other aspects.

• استاذ مساعد - جامعة وادي النيل-السودان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جغرافية المنطقة

تقع منطقة الشلال الثالث جغرافياً بشمال السودان بين خطي عرض ٣٨ ٤١ ١٩ و ١٨ ٠٧ ٢٠ شمال، وخطي طول ٠٥ ٢٤ ٣٠ و ٩٧ ٣٢ ٣٠ شرق، في جنوب اقليم عبري– دلقو المتعارف عليه لدى المهتمين بدراسة التراث الحضاري السوداني. وتمتد لثلاثة وخمسين كيلومتراً بين كجبار شمالاً وأبو فاطمة – على بعد عشر كيلومترات تقريباً شمال موقع مملكة كرمة جنوباً. (الخريطة رقم ١).

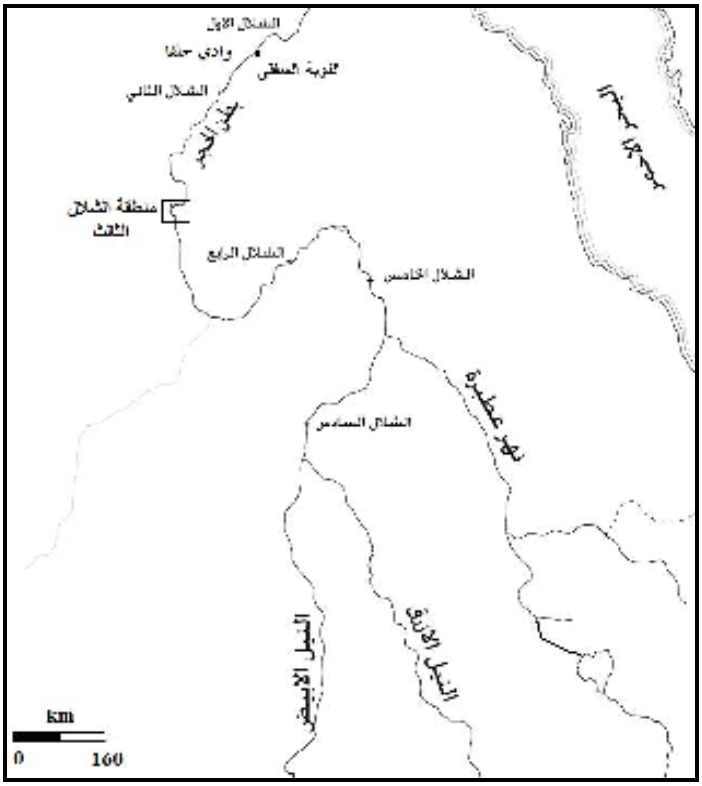

الخريطة رقم (١) الموقع الجغرافي لمنطقة الشلال الثالث

وتوصف ضفتي النيل في هذه المنطقة بأنها صخرية وحادة في كثير من الأحيان. والنيل نفسه يتدفق عبر قنوات عديدة، تمر حول عدد من الجزر الكبيرة. أهمها أردوان Arduan ومسل Musul وناب Nab وسمت Simit وجوقل Jawgil وغيرها . ويصب على النيل عدد من الأودية والخيران من الصحراء والمرتفعات الصخرية يمين ويسار النيل، (الخريطة رقم ٢).

وتتركز الحياة عموما في هذا الشريط الضيق المتاخم للنيل من الجانبين. وهو سهل منخفض، تحيط به هضاب متفاوتة في الارتفاع، تفصل النيل ووادية عن الصحراء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويضيق هذا السهل أو يتسع حسب طبيعة المنطقة التي يجري فيها النيل. ولكنه عموما، لا يتجاوز بضع كيلومترات في أفضل الأحوال.

وتمتاز هذه المنطقة بتربتها الطينية الخصبة، والتي تتجدد باستمرار نتيجة للطمي الذي يجلبه النيل عند فيضانه كل عام. بينما تتشكل المناطق البعيدة من النيل، والواقعة على حدود الصحراء، من صخور رملية في بعض المناطق، وتربة جيرية أو جرانيتية في مناطق أخرى .

ويسود المنطقة مناخ صحراوي جاف نسبة لوقوعها على حافة الصحراء الكبرى. وهو مطابق لمناخ المناطق الجنوبية لوادي حلفا بشمال السودان. والطقس عموما حار جاف صيفا وبارد في الشتاء. وتسود الرياح التجارية الشمالية الشرقية معظم شهور السنة. وفيها تمثل نسبة الأمطار في العام أقل من ١٠ مليمترات. والصيف طويل و حار جدا ولكن في الشتاء قد تصل درجة الحرارة الليلية في بعض الأحيان لدرجة التجمد. كما أن زحف الرمال في المنطقة ضئيل جدا مقارنة بالمناطق الواقعة جنوب دنقلا.[١]

[1] - Vail, J. R., Dawoud, A. S., and Ahmed F. Geology of the Third Cataract, Halfa District, Northern Province, Sudan, Bulletin No. 22, Khartoum.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

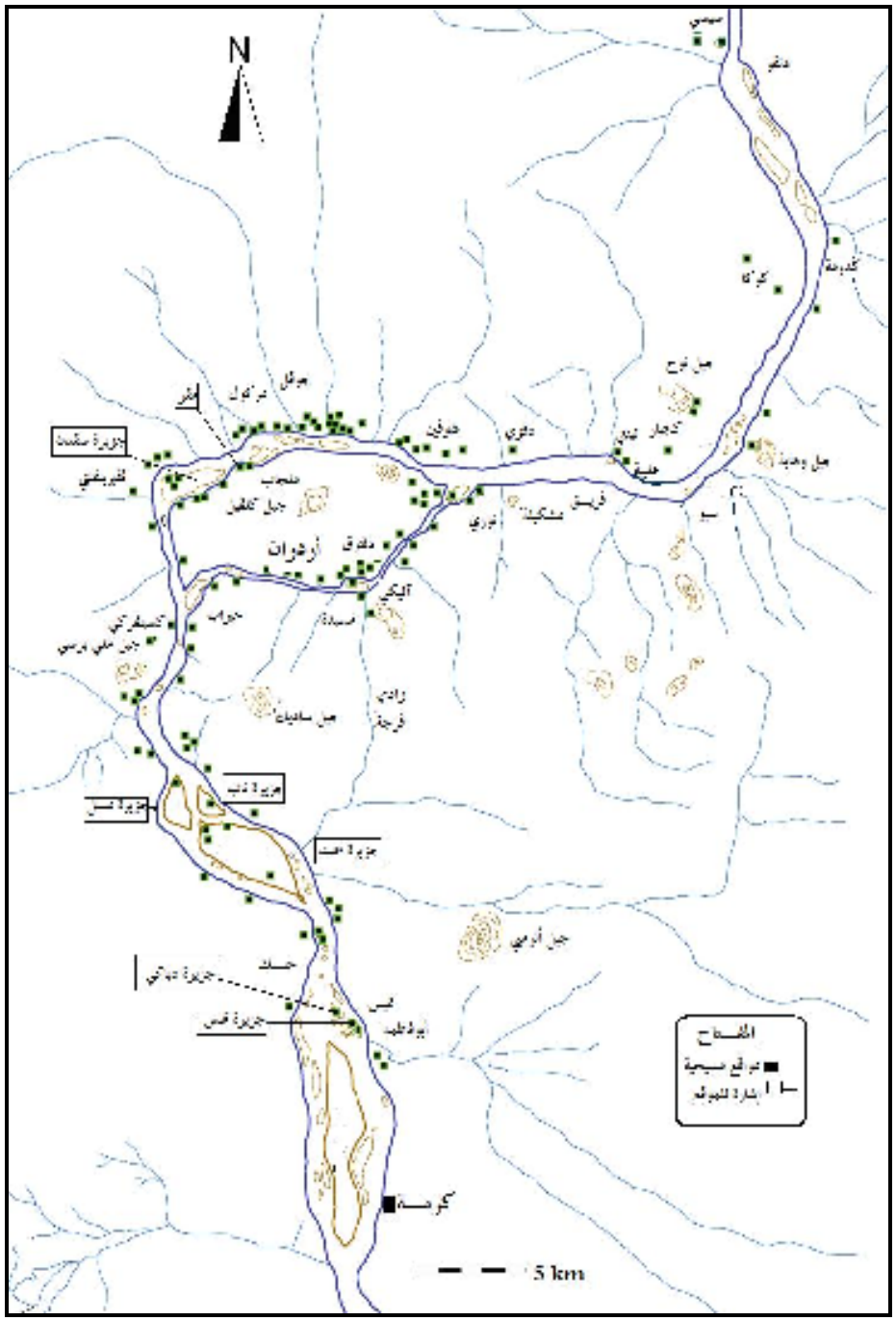

الخريطة رقم (٢) منطقة الشلال الثالث ومواقع الآثار المسيحية فيها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنتشار وتوزيع العمارة المسيحية في منطقة الشلال الثالث:

تنتشر عمارة الفترة المسيحية في منطقة الشلال الثالث على ضفتي النيل والجزر بنسب متفاوتة (الشكل البياني رقم ٢). فالضفة الغربية تضم ٢٠ موقعا حسب الاستمارات المذكورة آنفا. ويلاحظ أنه وبالرغم من الانتشار المناسب للعمارة المسيحية في هذه الضفة من النيل، إلا أن الجهة الجنوبية من شلال تمبس حتى كسينفركي(Kisseinfarki) تبدو خالية من أي نوع من عمارة هذه الفترة.

والجدير بالملاحظة أن ١٢ موقعا من مواقع الضفة الغربية تقع على مرتفعات صخرية وقمم جبلية، بينما تقع البقية وهي ٨ مواقع في مناطق سهلية أو مفتوحة. ويعزى ذلك لخوف من خطر محدق، فتوفر المرتفعات الصخرية والمناطق الجبلية مزيدا من الأمن، كما كان الحال في معظم أنحاء النوبة إبان فترات الحروب الاضطرابات الأمنية. أو لتوفيرا الرقع الزراعية الضيقة في المنطقة، بعدم شغل مساحات منها بمواقع سكنية أو غيرها. وهذا الأمر معروف في المناطق ذات الطبيعة الشبيهة بالسودان عامة، والمنطقة الواقعة بين الشلالين الأول والثالث بصفة خاصة في العصر الحديث.

في الضفة الشرقية للنيل، تعتبر عدد المواقع أقل. اذ تبلغ في مجملها ١٢ موقعا، منها موقعين فقط تقعان في مناطق سهلية. وهذا العدد نسبيا ضئيل جدا مقارنة بالضفة الغربية، رغم ان المناطق السهلية تبدو أكثر وأوسع في الضفة الشرقية للنيل في منطقة الشلال الثالث. وهذا الوضع يبدو انه يرجح افتراض الأسباب الأمنية أكثر من غيرها. ويلاحظ هنا أن الضفة الشرقية توجد بها عمارة مسيحية من بدايتها الجنوبية شلال تمبس، وتتوزع شمالا حتى نوري Nawri. أما المنطقة بين تحصينات نوري المسيحية وشلال كجبار حيث تحصينات جبل وهابة Wahaba، فلم يكشف فيها حتى الآن عن أي نوع من العمارة التي تعود للفترة المسيحية.

أما الجزر الكثيرة التي تنتشر في منطقة الشلال الثالث فتضم العدد الأكبر من العمارة في الفترة المسيحية مقارنة بضفتي النيل. وتبلغ عدد مواقعها ٢٨ موقعا أي ٥٧,٥% من جملة عمارة هذه الفترة في المنطقة. وتمثل جزيرة أردوان الكبرى بجزرها الفرعية مكان لتمركز معظم هذه المواقع في جزر المنطقة. كما أن هذه الجزيرة قد امتازت أيضا بوجود عدد كبير من مواقع العمارة المسيحية على ضفتي النيل المقابلتين لها (الشكل البياني رقم ١، الخريطة رقم ٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

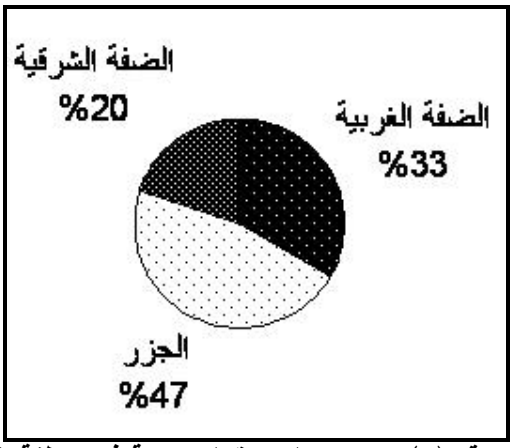

الشكل البياني رقم (١) توزيع العمارة المسيحية في منطقة الشلال الثالث

ويشكل عدد المواقع التي تقع في مناطق مفتوحة وسهلية ٦ مواقع فقط من جملة مواقع العمارة المسيحية في جزر منطقة الشلال الثالث. منها موقعين محصنين يقعان في إطراف جزيرة تمبس Tombos من الجنوب وجزيرة سمت Simit من الشمال. وهما مطلان على النيل، يراقبان حركة الملاحة فيه. وهذا الوضع شبيه بتلك التي في النوبة السفلى وبطن الحجر، إذ ازداد انتشار العمارة ومواقع الاستيطان على المرتفعات الصخرية في الجزر النيلية في الفترة المسيحية المتأخرة. وهي الفترة التي ضعفت فيها مملكة النوبة، وزادت فيها الهجرات العربية إلى أراضيها، وانفرط فيها عقد الأمن. ويجدر الإشارة هنا أن ١٠ مواقع فقط من جملة مواقع جزر الشلال الثالث وجدت فيها قطع فخار تعود لفترات سابقة للفترة المسيحية المتأخرة.

وقد قسمت عمارة منطقة الشلال الثالث في الفترة المسيحية من حيث وظائفها إلى ثلاثة أنواع هي الكنائس، والاستيطان المحصن، والبيوت الحصن، والمنازل. وقد تفاوتت نسب انتشار هذه الأنواع كما في الشكل البياني رقم (٢).

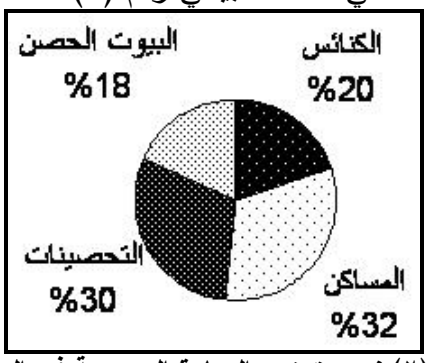

الشكل البياني رقم (٢) نسب توزيع العمارة المسيحية في المنطقة تبعا لوظائفها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملامح العامة للكنائس:

تبلغ جملة الكنائس المسيحية في منطقة الشلال الثالث ١٢ كنيسة من جملة مواقع العمارة المسيحية بالمنطقة أي تشكل نسبة ٢٠% . تقع منها ٥ كنائس على الضفة الغربية، ٢ في الضفة الشرقية و٥ في الجزر. ونلاحظ هنا تساوي عدد الكنائس في الجزر وضفة النيل الغربية. وهذا ما يتوافق لحد ما مع نسبة توزيع مواقع العمارة في الجزر والضفتين في مجملها. هذا بجانب ارتفاع نسبتها على الحزر والضفة الغربية مقارنة بالشرقية (الشكل البياني رقم ٢). ومن الملاحظ أيضا تساوي عدد الكنائس المناطق السهلية و المرتفعات الصخرية.

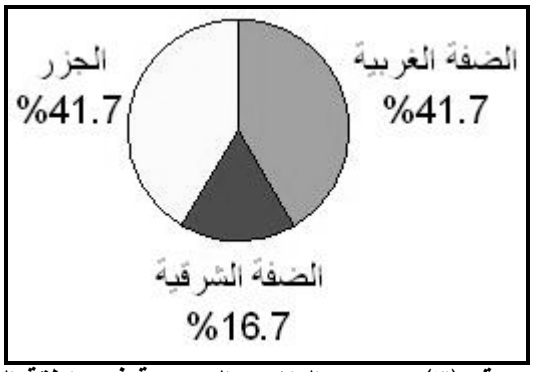

الشكل البياني رقم (٣) توزيع الكنائس المسيحية في منطقة الشلال الثالث

أما من حيث الشكل، فقد وضح أن كنائس منطقة الشلال الثالث تأخذ الشكل المستطيل، عدا اثنتين. الأولى تقع في شمال جزيرة مسل Musul ولم يتبقى منها غير عمود، والثانية تقع داخل تحصينات سيسي Sesse ولم يتم العثور إلا على حطام الطوب اللبن.

وتعتبر الكنائس في هذه المنطقة صغيرة الحجم نسبياً, إذ تبلغ أكبرها حجما وهي كنيسة شوفين ٢٠×١٥ مترا. اما أصغرها فهي كنيسة ملجاب, وتبلغ أطواها ٨×٧مترا.

كما أن كل الكنائس المتبقية بمعالم واضحة تأخذ اتجاه شرق–غرب حسب اتجاه الضلع الأكبر. أما التقسيمات والوحدات الداخلية فعادة ما تأتي بسيطة، وذلك بوجود محراب على الجانب الشرقي وفاصل أو وحدتين(غرفتين) في الجانب الغربي

وتوجد في في هذه المنطقة نموذج واحد لكنيسة في تينتي ، تأخذ شكلا مستطيلا بمحراب بارز في جانبه الشرقي، وفواصل في الركنين الشمالي الغربي والجنوبي الغربي، وآخر ملاصق لمنتصف الجزء الشرقي من الجدار الشمالي. و رغم ان هذه الكنيسة تشبه الى حد ما الكنائس الاخرى في المنطقة، الا انها تختلف عنها بالمحراب البارز من السور الشرقي(الشكل رقم ١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

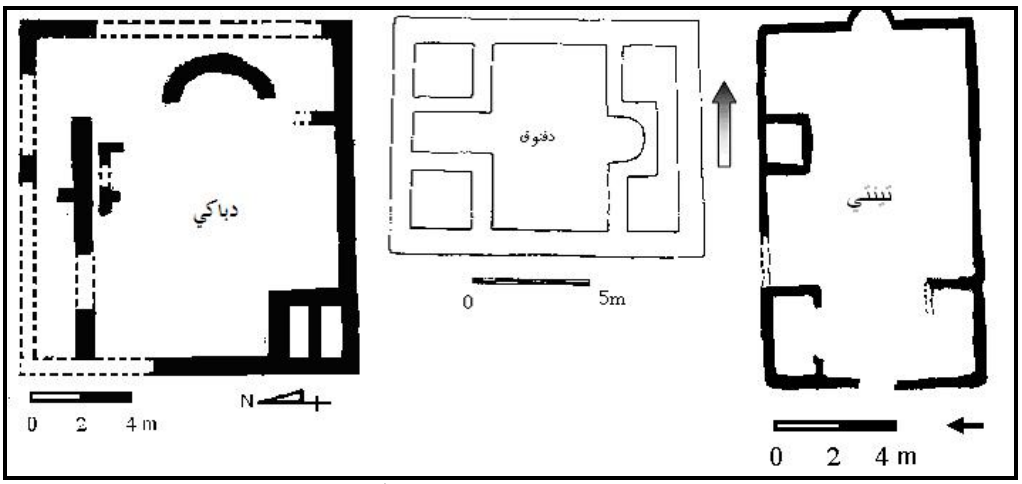

الشكل رقم (١) نماذج من كنائس منطقة الشلال الثالث

تفاوتت مواد البناء في الكنائس النوبية في منطقة الشلال الثالث بين استخدام الطوب المحروق، والطوب اللبن، والحجر، والأخيرَتين معا باستخدام الحجر في أساس الكنيسة والبناء بالطوب اللبن فوقها. وبالرغم من أن الشكل البياني رقم (٤) يوضح لنا نسبة استخدام كل من المواد المذكورة أعلاه. الا أنه يمكن إضافة النسبة المخصصة للطوب اللبن والحجر معا للنسبة المخصصة للطوب اللبن باعتباره الغالب، ولا يشكل الحجر فيها غير أساس الكنيسة فقط.

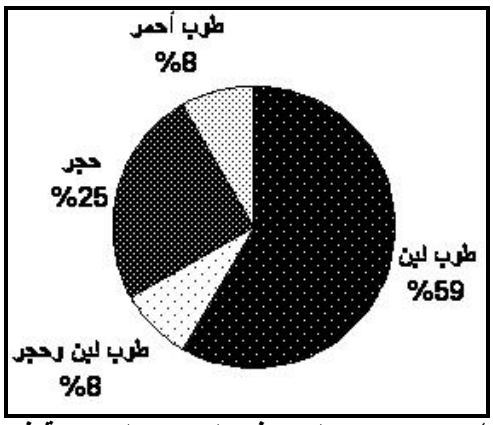

الشكل البياني رقم (٤) نسب مواد البناء في الكنائس المسيحية في منطقة الشلال الثالث

وعليه يمكننا القول أن النوبيون في منطقة الشلال الثالث قد استخدموا الطوب اللبن في بناء كنائسهم بنسبة تقارب ٦٧%. هذا بجانب أننا لا نعلم أن كانت الكنائس المبنية من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحجر أو غيره قد استخدم فيها الطوب اللبن، خاصة وان هذه الكنائس قد تهدمت، ولم يتبق منها غير أساسها الحجري. وعطفا على ذلك يمكننا القول أن استخدام الطوب اللبن هو الغالب في بناء الكنائس النوبية في منطقة الشلال الثالث.

أما الأسقف فبالرغم من وجود النوع المقبب في كنيستي كسينفركي وبرجة مسيدة Barja Masseida فقط، الا انه من الصعب تحديد أنواعها، نسبة للحالة السيئة لمعظم الكنائس، وتهدم أجزاء كبيرة منها. ومع ذلك فان افتراض السقف المقبب لغالبية الكنائس ممكن، نسبة لارتباط بعض الكنائس المهدمة بمباني استيطان ذات أسقف مقببة مثل جوقل Jawgil، و برجة دفنوق Barja Diffinog. هذا بجانب أن كثير من هذه الكنائس تمتاز جدرانها بسمك عريض وركائز ضخمة. وهي ترتبط معماريا بهذا النوع من السقف المقبب vaulted.

وتعطي تاريخ الكنائس المسيحية في منطقة الشلال الثالث مؤشرا لدخول المسيحية للمنطقة منذ فجر انتشارها في بلاد النوبة، اذ توجد كنيستين وجدت بهما فخار يعود إلى الفترة المسيحية الباكرة، وهما فقيرينفنتي Fageereenfenti و جوقل Jawgil. هذا فضلا عن الكنائس غير المؤرخة لفترة مسيحية محددة، بسبب حاجتها لعمليات تنقيب تكشف عن تاريخها، وعددها ٦ كنائس، أي ما يربو عن نصف كنائس المنطقة. وقد يكشف التنقيب عن بعض منها تعود للفترة الباكرة، والآخر للفترات الأخرى، أو غير ذلك من الاحتمالات المتعددة التي لا طائل من حصرها.

وتمثلت الفترة المسيحية الكلاسيكية في ٣ كنائس، هي كسينفركي TJB006 و فقيرينفنتي TJB023 و جوقل JWG003. وهذا دليل على أن المنطقة كانت مأهولة بالسكان في فترة ازدهار الممالك النوبية المسيحية واستتباب الأمن فيها.

أما الفترة المسيحية المتأخرة، فقد شهدت استمرار كنائس كانت قائمة منذ الفترات الباكرة والكلاسيكية مثل كسينفركي TJB006 و فقيرينفنتي TJB023، وإنشاء كنائس جديدة مثل برجة مسيدة MAS021 و برجة دفنوق BRJ005 .

الملامح العامة للتحصينات:

تبلغ نسبة العمارة المخصصة للاستيطان المحصن ٣٠% من جملة مواقع العمارة المسيحية في هذه المنطقة. ويبلغ عدد التحصينات ٦ مواقع في الضفة الغربية للنيل، و ٥ مواقع في الضفة الشرقية، و٧مواقع في الجزر والجزر الموسمية. ويبدو هذا التوزيع متناسقا ومنسجما، مما يؤكد اهمية ضفتي النيل والجزر بلا استثناء في احتضان مثل هذا النوع من العمارة في الفترة المسيحية بمنطقة الشلال الثالث.

ويوضح الموقع الطبوغرافي للتحصينات في هذه المنطقة ١١ موقعاً تقع على مرتفعات صخرية وجبال. و ٧ في اراضٍ سهلية، كلها تقع في الجانب الجنوبي من منطقة الشلال الثالث. بينما اتخذ موقعي جبل وهابة في اقصى الشمال الضفة الشرقية، و جبل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيسي في اقصى شمال الضفة الغربية، قمم جبلية شاهقة الارتفاع، في دلالة واضحة لتحسب سكان المنطقة لخطر يأتيهم من جهة الشمال.

أشكال التحصينات يمكن تقسيمها إلى قسمين. قسم يأخذ الشكل المستطيل وشبه المستطيل(مضلع بأربعة أبعاد)، وقسم يأخذ شكل غير منتظم، تقع كل مواقعه على مرتفعات صخرية وقمم جبلية. وهذه المرتفعات في الغالب الأعم قممها غير منتظمة. وهذا ربما أدى الى صعوبة فى بناء عمارة منتظمة عليها، (الصورة رقم ٤). ولكن هذا الأمر غير مطلق لان هناك مرتفعات صخرية بنيت عليها مباني منتظمة الشكل كما في مركول و شوفين. الشكل رقم (٢)

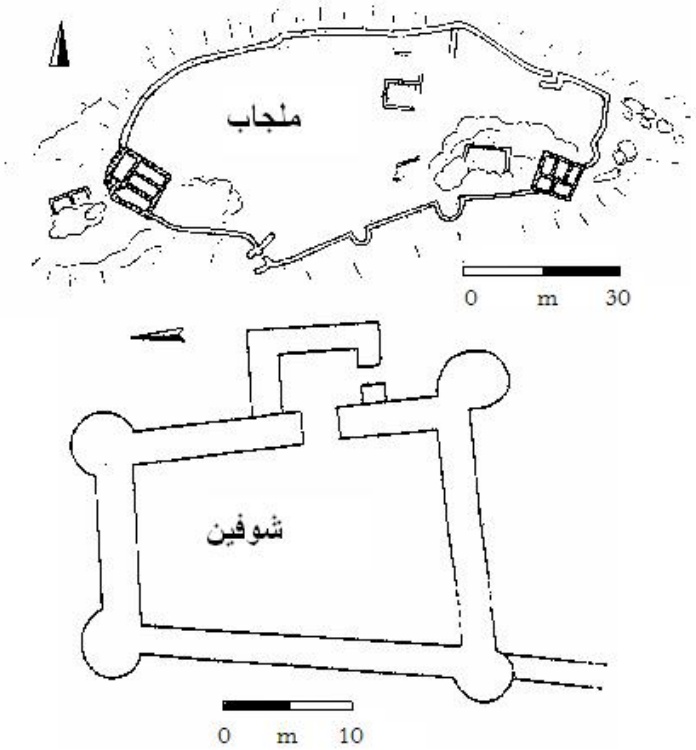

الشكل رقم (٢) نماذج لتحصينات منطقة الشلال الثالث

ومن حيث الوظيفة فقد توزعت تحصينات منطقة الشلال الثالث الى اربعة اقسام هي تحصينات حماية التجارة، حماية مواقع الحكم، المواقع الدينية، والقرى المحصنة. ولكن الملاحظ ان بعضها خصصت لأكثر من وظيفة وتستثنى من ذلك القرى المحصنة التي بنيت حول قرى لعامة الناس كانت قائمة أصلا ثم أحيطت بأسوار متعرجة في فترات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اضطراب أمني. ويصعب هنا اجراء دراسة احصائية لهذه التحصينات اعتمادا على وظائفها الا بعد إجراء عمليات تنقيب واسعة لكل مواقع التحصينات وتحديد وظيفة كل منها على وجه الدقة.

أما من حيث مادة البناء في عمارة تحصينات منطقة الشلال الثالث في الفترة المسيحية، فقد تم استخدام كل المواد التي تتيحها بيئة منطقة الشلال الثالث من حجر، وطوب لبن، ومحروق، بعضها منفردة، وبعضها بالتكامل مع البعض الآخر. ولكن استخدام هذه المواد تم بنسب متفاوتة. ويشكل الحجر أكثر المواد استخداما في هذا النوع من العمارة بنسبة بلغت ٤٤% . كما شكل الحجر نسبة ٣٩% في الاستخدام المزدوج مع الطوب اللبن. وبذلك تبلغ نسبة استخدام الحجر في عمارة التحصينات المسيحية بمنطقة الشلال الثالث نسبة ٨٣% , (الشكل البياني رقم٥). وهذا ربما يفسر بسهولة الحصول على الحجر في هذه المنطقة التي تتسم بطبعتها الحجرية في كل انحائها تقريبا، خاصة وأن هذا النوع من العمارة بحاجة لكم طائل من مواد البناء.

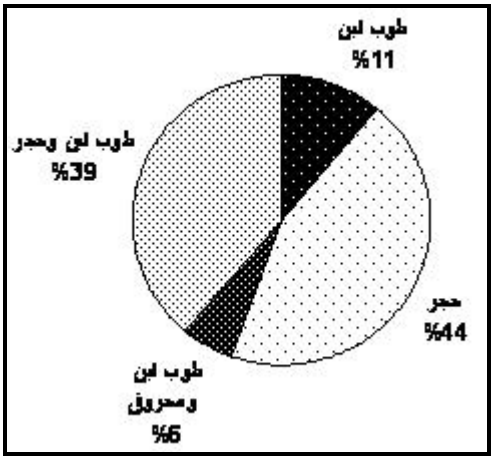

الشكل البياني رقم (٥) نسب مواد البناء في التحصينات

وفيما يختص بتوريخ عمارة التحصينات المسيحية في منطقة الشلال الثالث، فمن الملاحظ أن بعضها قد تم انشائها في الفترة المسيحية الباكرة، مثل كبدي اوشيندفي (Koboddi Osheendiffi) في الجانب الجنوبي من المنطقة، و لم يتم استخدامها في الفترات اللاحقة. ولكن هناك بعض التحصينات تم انشائها في الفترة المسيحية الباكرة، وتم استخدامها في الفترة الكلاسيكية والمتأخرة مثل شوفين. ونوع آخر تم بناءه في الفترة الكلاسيكية، واستمر في الفترة المتأخرة مثل كسينفركي .

ولكن الملاحظ أن كل تحصينات المنطقة التي نعرف توريخها الآن، قد تم بناءها أو أعيد استخدامها في الفترة المسيحية المتأخرة، عدا اوشيندفي. وهذا مؤشر الى أهمية استخدام العمارة المحصنة في الفترة المتأخرة بسبب تدهور الظروف الأمنة في هذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفترة ، كما يجب الوضع في الحسبان، أن هذه المنطقة قد عرفت الاستيطان المحصن في فترات هدوء الاحوال الأمنية في الفترتين الباكرة والكلاسيكية. وربما كان ذلك لاستخدام غير أمني مباشر، مثل التحكم على حركة التجارة، وحماية مواقع الادارات الدينية والسياسية من ارتياد العامة، واضفاء هالة من القدسية حولها.

الملامح العامة للبيت الحصن:

ويمكن وصف البيت الحصن في منطقة الشلال الثالث بأنه وحدة سكنية بقاعدة مستطيلة من الطوب اللبن والحجر، أو الحجر فقط. وعادة ما تبنى في شكل طابقين، بحيث يتم استخدام السقف المقبب غالبا في غرف الطابق السفلي التي عادة ما تكون ٦ غرف مستطيلة أو أكثر. وتبنى الجدران بسمك عريض يصعب تهديمها بواسطة الغزاة والمهاجمين, بجانب الوظيفة الأساسية وهي تحمل الأسقف ذات الوزن الثقيل خاصة المقبب منها. وعادة يكون بها باب واحد، يؤدي في الغالب الى ممر به سلم يقود للطابق الأعلى. ويتم الدخول الى الغرف السفلية من أعلى في كثير من الأحيان. (الصورة رقم ١).

الصورة رقم (١) نموذج لبيت حصن من منطقة الشلال الثالث

وزعت مواقع البيوت الحصن في ٩ مواقع ، كلها تقع على مرتفعات صخرية في جزر منطقة الشلال الثالث ، عدا واحد يقع على مرتفع صخري في الضفة الغربية للنيل وهو فقيرينفنتي ، وامعانا في القوة والمتانة ، فقد تم البناء بدقة واتقان ، باستخدام الحجر في قواعد بناء البيت الحصن،والطوب اللبن في اجزاءه العلوية,بنسبة بلغت ٨٢% (الصورة رقم ٨)،مقابل١٨% لاستخدام الحجر فقط في كل المبنى(الشكل البياني رقم٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

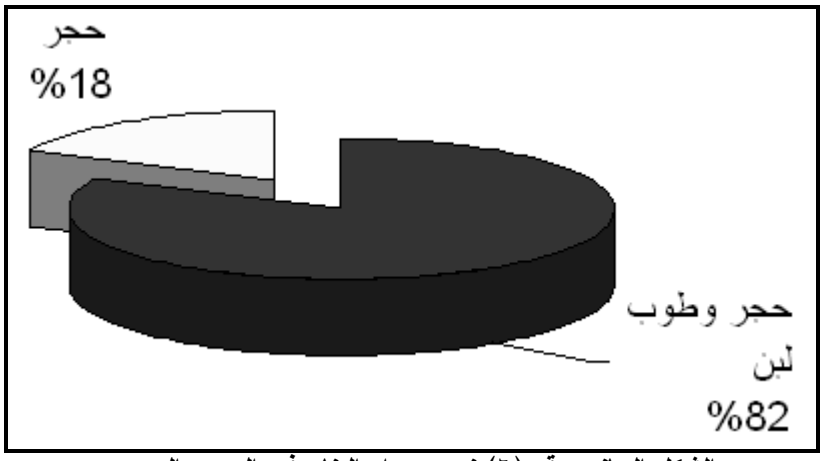

الشكل البياني رقم (٦) نسب مواد البناء في البيوت الحصن

إن وضع الغالبية المطلقة من البيوت الحصن على جزر منطقة الشلال الثالث، قد يؤكد الاتجاه العام لدى الآثارين الذي يؤيد رأي وليم آدمز، بأنها بنيت في فترات الاضطراب الأمني خلال الفترة المسيحية المتأخرة، لخدمت الكيانات الإقطاعية الجديدة وأثريائها ونبلائها.[٢] غير أن التأكد من صحة هذا الرأي يحتاج الى مزيد من الدراسات على الأقل في منطقة الشلال الثالث، حيث أن ٣٦% من مواقع البيوت الحصن يعود تاريخ نشأتها حسب قطع الفخار على السطح إلى فترات سابقة للفترة المسيحية المتأخرة، بينما ٣٧% منها تعود إلى الفترة المتأخرة. وهناك ٢٧% من هذه المواقع في انتظار عمليات التنقيب لتحديد فترتها الدقيقة(الشكل البياني رقم ٧) . وهذه النسب المئوية لا تعطي الأغلبية المطلقة للمواقع التي أنشأت في الفترة المتأخرة. وهذا بالطبع يهدم أهم أركان الرأي القائل بتبعيتها لعصر الإقطاع النوبي المؤرخ إلى الفترة المسيحية المتأخرة. ويتوقف نفيه أو إثباته على تنقيب كل المواقع والتأكد التام من توريخها.

2 - Adams, Nubia Corridor to Africa, London,1977.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

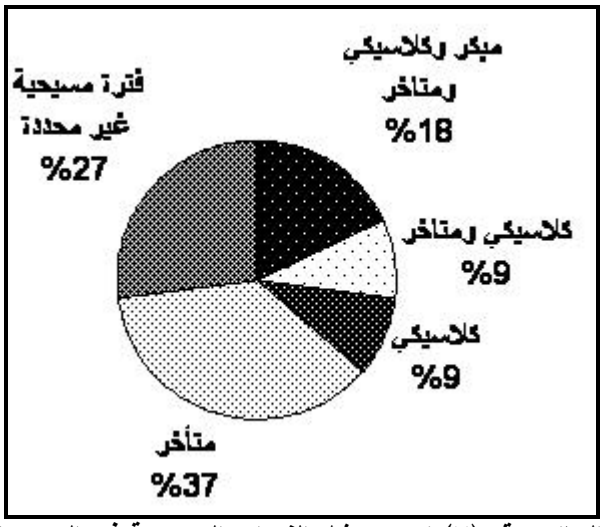

الشكل البياني رقم (٧) نسب تمثيل الفترات المسيحية في البيوت الحصن

الملامح العامة لعمارة المنازل :

توزعت هذه المواقع على ضفتي النيل والجزر بتوزيع غير متناسق، يعطي النسبة الاعلى للضفة الغربية، وتليها الجزر، (الشكل البياني رقم ٨).

الشكل البياني رقم (٨) نسب تمثيل المنازل على ضفتي النيل والجزر

وكالمعتاد في عمارة الفترة المسيحية في منطقة الشلال الثالث، فان كل هذه المنازل قد اتخذت المرتفعات الصخرية موقعا لها، عدا موقعي فقيرينفنتي و سقدن اوندا . وهذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوضع غير غريب في منطقة الشلال الثالث، بالنظر للمساكن الحالية في المنطقة التي تتخذ في العادة المواقع البعيدة من مناطق الزراعة، سواء على المرتفعات، أو بالقرب منها. وذلك لافساح المجال للأنتاج الزراعي الذي يعاني من ضيق واضح في الرقعة الزراعية في معظم انحاء المنطقة، هذا بجانب الخوف من فيضانات النيل المتكررة التي تجتاح المناطق السهلية بين الفينة والأخرى.

اشكال المنازل في هذه المنطقة تباينت بشكل يصعب معه تصنيفها الى انواع محددة ولكنها عادة ما تأتي ببناء يفتقر للجودة، غير معقد، قليل الغرف والوحدات الداخلية أو بدونها.

ويستثنى من هذه المنازل وحدات سكنية مستطيلة الشكل تشبه البيوت الحصن من حيث الاهتمام بالشكل وطريقة البناء. وتضم بداخلها مجموعة من الغرف المستطيلة والمقببة. (الشكل رقم ٣).

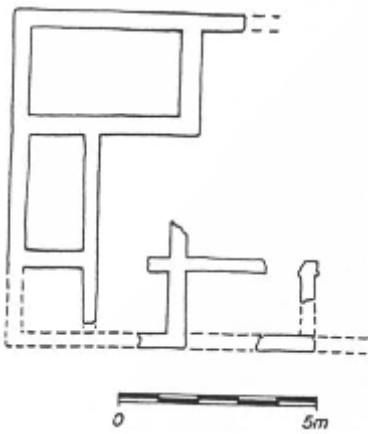

شكل رقم (٣) نموذج لمنازل الشلال الثالث

اما الأنواع الأخرى من المنازل، فبعضها دائري، وبعضها مستطيل وهو الشكل الغالب، وبعضها غير منتظم الشكل، والبعض الآخر بقايا حطام. و هذه الأنواع معظمها لم تبن باتقان، وتظهر عشوائية البناء في بعض منها. وهذا دلالة على عدم الاهتمام كثيرا بتخطيط وإتقان المنازل الشعبية في الفترة المسيحية بمنطقة الشلال الثالث. ويستثنى من ذلك المنازل التي بنيت داخل مواقع التحصينات ولاسيما القرى المحصنة، إذ وجدت بداخلها عدد من المنازل متقنة البناء، بعضها مستطيلة، وبعضها مقببة (الصورة رقم ٢) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصورة رقم (٢) نموذج لمنزل مقبب السقف

مواد البناء في عمارة المنازل في هذه المنطقة تمثلت في الحجر والطوب اللبن والطين. ويلاحظ أن مواد البناء في بعض الأحوال قد استخدمت مع غيرها في المبنى الواحد. ولكن يظل الحجر هو مادة البناء الاساسية في هذه المنازل بنسبة بلغت ٤٨% منفردة ، ومع الطوب اللبن والطين بنسبة بلغت ٣١% (الشكل البياني رقم ٩). وهذا في الغالب لوفرة الحجر وسهولة الحصول عليه في المنطقة, بجانب أن معظم المنازل قد بنيت على مرتفعات صخرية غير قريبة من النيل حيث مصدر المواد الاخرى. وهذا الوضع يجعل الحصول على مواد البناء الحجري ايسر من الطوب.

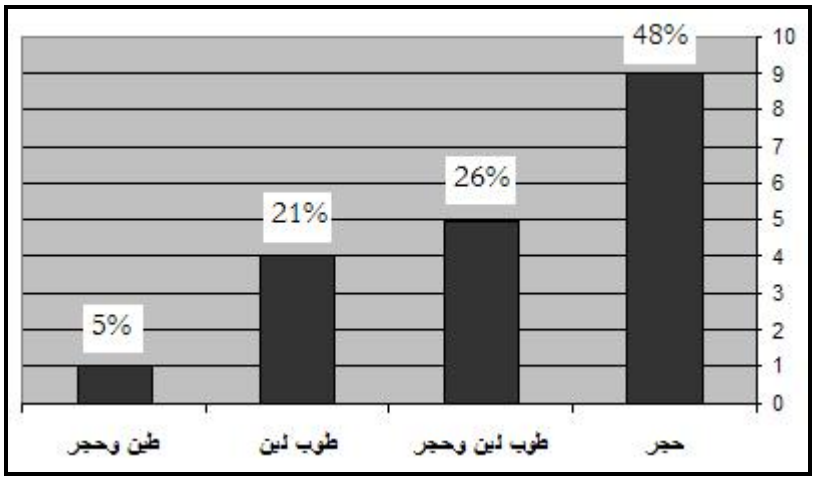

الشكل البياني رقم (٩) نسب تمثيل مواد البناء في المنازل

توريخ مساكن منطقة الشلال الثالث في الفترة المسيحية اجمالا غير مطلق لفترة محددة. بمعنى أن الفترات الباكرة والكلاسيكية والمتأخرة قد تمثلت في هذه المنازل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بنسب متقاربة . وهذا ما يعضد ما ذهبنا اليه بأن الاستيطان بمنطقة الشلال الثالث في العصر المسيحي لم يكن وليد فترة بعينها بل ظلت المنطقة مأهولة بالسكان طوال معظم فترة التاريخ النوبى منذ العصور الحجرية وحتى العصر الاسلامي.

مقارنة بين عمارة منطقة الشلال الثالث وخارجها

تنتشر العديد من مواقع العمارة التي تعود الى الفترة من ٥٥٠-١٣٢٣م في معظم انحاء بلاد النوبة معظمها تتركز على النيل بين الشلال الاول وسوبا في اقصى شمال النيل الازرق.

ففي جانب الكنائس فقد صنف وليم آدمز الكنائس النوبية الى خمسة أنواع. وكل نوع منها يتفرع لفروع ثانوية[٣]، كلها تختلف عن كنائس منطقة الشلال الثالث من حيث التخطيط العام عدا نوعين هما النوع الثاني(ب) والنوع الثالث (ج). وهما نوعين ظهرا بصورة واسعة في النوبة السفلى وبطن الحجر، أي شمال منطقة الشلال الثالث.

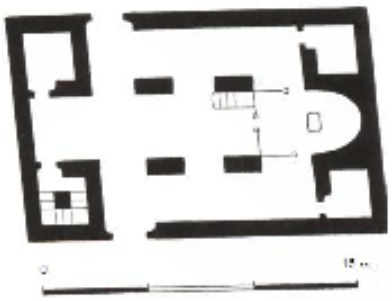

الشكل رقم (٤)النوع الثاني(ب)

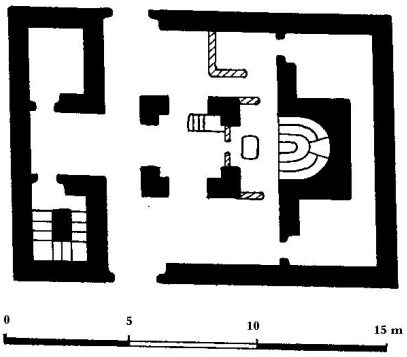

الشكل رقم (٥) النوع الثالث (ج)

اما من حيث مادة البناء فان كنائس منطقة الشلال الثالث لم تنفصل عن الكنائس الواقعة الى الشمال منها وفي ذلك يقول سومرز كلارك أن الطوب اللبن يغلب على كنائس مصر والنوبة السفلى وبطن الحجر. ويقول عن منطقة كولب جنوب بطن الحجر(أننا الآن في منطقة الطوب اللبن ولن نلتقي مرة أخرى بأعمدة من الحجر الصخري أو شظيات الطوب اللبن). ويصف المناطق الجنوبية بأنها تتميز بالبناء بالطوب الأحمر ويقصد بها دنقلة العجوز، وقنتي الى الجنوب منها. ويبرر ذلك برداءة وندرة الحجر

3 - Adams, Nubia Nubian Church Architecure and Nubian Church Decoration" Etudes Nubiennes, vol.1, ed. Ch.Bonnet, Genève, 1992, Pp 317-326.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وانتشار النمل الابيض الذي يضر بالطوب اللبن، اضافة لوفرة الوقود من الشجيرات الكثيرة التي تنمو في المنطقة الصحراوية التي تمتد على جانبي النيل(وينطبق هذا الوصف على منطقة دنقلا العجوز وضواحيها شمالا وجنوبا)[٤]. وتؤكد الدراسات التي تجريها البعثة البولندية في دنقلا العجوز ما ذهب اليه كلارك، بسيادة الكنائس ذات الاعمدة الحجرية المبنية من الطوب الأحمر كمادة بناء رئيسة.[٥]

وفيما يختص بالتحصينات الدفاعية فلم نتعرف حتى الان على اختلافات واضحة بين التحصينات النوبية في الفترة المسيحية من حيث مادة بنائها التي تغلب عليها الطوب اللبن والحجر. ومن حيث اشكالها المضلعة وغير المنتظمة في بعض الاحيان الا ان منطقة الشلال الثالث في الفترة المسيحية قد تفردت بتحصينات لعبت أدوار واضحة في التجارة عبر النيل وضفتيه، ومراقبة اللملاحة النهرية عبر النيل دون غيرها من المناطق النوبية. كما تفردت بالاشترك مع منطقة بطن الحجر في جانب القرى المسورة التي لم تظهر حتى الآن في باقي أنحاء البلاد. وفي جانب البيوت الحصن ارتبطت منطقة الشلال الثالث بشمالها أكثر من جنوبها باعتبار الشمال هو مركز ثقل هذا النوع من العمارة.

وفي جانب عمارة المنازل الاعتيادية لم تقدم منطقة الشلال الثالث غير عمارة فقيرة في تخطيطها وبنائها وغرفها ووحداتها الداخلية. ولم نجد ما يشابها في الشمال والجنوب غير منطقة بطن الحجر. ولكن معلوماتنا عنها ما زالت ضعيفة لا يمكن الأخذ بها. في حين أن ما كشف حتى الآن عن شمال وجنوب الشلال الثالث تنبئنا عن عمارة مميزة في شكلها وبنائها وتخطيطها وتعدد تقسيماتها الداخلية.

وبالرجوع لكل ذلك يمكن القول مجملا أن عمارة منطقة الشلال الثالث في الفترة المسيحية ظلت مرتبطة بشمالها أكثر من جنوبها. ولكن نسبة تطابق العمارة في هذه المنطقة ومواقع النوبة السفلى تبدو غير كبيرة، بحيث يمكننا من الجزم بتبعية هذه المنطقة ثقافيا للمناطق الواقعة شمالها. ولكن يمكن اعتبار نسبة التشابه مؤشرا على نوع من الوحدة الثقافية بين هذه المنطقة والمناطق الواقعة الي الشمال منها، مع الوضع في الحسبان بعد المسافة بين النوبة السفلى مركز ثقافة الشمال ومنطقة الشلال الثالث. وهذا بالطبع له تأثيره في عدم التطابق الكامل بينهما.

---

[4]- كلارك سومرز الآثار القبطية في وادي النيل: دراسة في الكنائس القديمة، ترجمة إبراهيم سلامة ابراهيم مكتبة الأسرة القاهرة، ٢٠٠٠م. ص ٤٠-٤١، ٧٨.

[5] - Godlewski Wlodzimierz, "The Northern Church in Old Dongola" ANM. Vol. 4, 1990,Pp.37-62

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجـــــع

كلارك سومرز - الآثار القبطية في وادي النيل: دراسة في الكنائس القديمة، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم مكتبة الأسرة القاهرة، ٢٠٠٠م.

Adams, William,

Nubia Nubian Church Architecure and Nubian Church Decoration" Etudes Nubiennes, vol.1, ed. Ch.Bonnet, Genève, 1992.

Adams, William,

Nubia Corridor to Africa, London,1977.

Godlewski Wlodzimierz,bv

"The Northern Church in Old Dongola" Archeologie du Nil Moyan, Vol. 4. Lille, France.., 1990. Pp.37-62.

Vail, J. R., Dawoud, A. S., and Ahmed F.

Geology of the Third Cataract, Halfa District, Northern Province, Sudan, Bulletin No. 22, Khartoum

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com